المقـدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين.

اما بعد:

فعصرنا عصر العجائب والغرائب، عصر الخوارق والمدهشات ؟ لا تكاد العين ترى فيه الا كل طريف وجديد، فما كان مستحيلاً وغير معقول منذ قرون اصبح واقعا في هذه الايام ؟؟ ولا عجب في ذلك، فهو عصر الازدهار العلمي، والتقدم الحضاري وعصر المكتشفات والمخترعات، عصر الذرّة والاقمار الصناعية والمراكب الفضائية، عصر غزو الفضاء، ويمكننا ان نقول جازمين:

إنه عصر ظهور معجزات القرآن تحقيقا لقوله تعالى (**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**) **فصلت: ٥٣**

وهذا الكون الرحب الذي نجول فيه بأنظارنا ونسير على ارضه بأقدامنا هو كتاب الله المنظور الذي نرى فيه بديع صنع الله وجمال خلقه.

ومن هنا جاء سبب اختياري لموضوع (الأشجار وأثرها على الإنسان والبيئة من منظور قرآني)

وقد آمليّ عليه هذا الموضوع أن أقسمه على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالشجر لغة واصطلاحا، ومواضع ذكرها في السور القرآنية.

المطلب الثاني: أثر الأشجار والنباتات على البيئة.

المطلب الثالث: أثر الأشجار على النفس الإنسانية.

أما الخاتمة: فقد ذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذه الدراسة، وقد كانت كتب التفسير وعلوم القرآن، واللغة، والحديث الشريف، وكتب عالم النبات، وكتب الإعجاز والموسوعات العلمية، والمعاجم، دليل دربي.

ثم قائمة المصادر والمراجع، وهكذا لكل بداية نهاية، وخير العمل ما حَسُنَ آخرهُ، وخير الكلام ما قلَّ ودلَّ، وبعد هذا الجهد المتواضع فقد عرضت رأيي وأدليت بفكرتي في هذا الموضوع لعلي أكون قد وفقت في كتابته والتعبير عنه، وأخيرًا ما أنا إلا بشر أخطئ وأصيب، فإن أخطأت فأستغفر الله العظيم، وإن أصبت فبتوفيق من الله وفضله، وأسأله تعالى أن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا.

المطلب الأول: التعريف بالشجر لغة واصطلاحًا، ومواضع ذكرها في السور القرآنية.

الشجر في اللغة:

الشَجَرُ والشَجَرَةُ: ما كان على ساقٍ من نبات الأرض. الشَجَرُ: جمع شَجَرةٍ.

وأرضٌ شجيرَةٌ وشَجْراءُ، أي كثيرة الأَشجارِ.

ووادٍ شَجيرٌ، ولا يقال وادٍ أَشْجَرُ.

وواحد الشَجْرَاءِ شَجَرَةٌ.

قال سيبويه: الشَجْراءُ واحدٌ وجمعٌ، وكذلك القَصْباءُ، والطَرْفاءُ والحَلْفاءُ.

والمَشْجَرَةُ: موضع الأَشْجارِ. وأرضٌ مَشْجَرَةٌ.

وسمي الشجر بهذا الاسم لتشاجر أغصانه وتشابكها[1].

والشجر من النبات ما له ساق، ويقال له: شجرة وشجر على نحو ثمرة وثمر.

وشَجَر: (اسم) الجمع: أَشْجَارٌ. والشَّجَرُ: نباتٌ يقوم على ساقٍ صُلبة وقد يطلق على كلِّ نبات غير قائم كقوله تعالى: ﴿ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴾ [الرحمن: ٦]. واحدته شجرة هو من شجرة طيِّبة: من أصل كريم.

وشجرة النسب: بيان يفعل على صورة شجرة يُبدأ فيها بالجد الأعلى ثم من ينفرع.

وشجرةُ الظل: الهدف منها التظليل، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ﴾ [الصافات: ١٤٦].

والشجرة الملعونة: وهي شجرة الزقوم. لقوله تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ ۞ طَعَامُ الْأَثِيمِ﴾ [الدخان: ٤٣-٤٤].

وشجرة الحياة: شجَرة المعصية: التي نهى الله تعالى سيدنا آدم عليه السلام عن الأكل منها في الجنة. ويقال: مقطوع من شجرة: من لا أهل له، أي وحيدًا[2].

الشَّجَرُ في الاصطلاح:

الشَّجَرُ: (هو النَّبات: ما لَهُ ساقٌ صلبٌ يقوم به كالنخل وغيره)[3].

وقد جاء ذكر الشجر في القرآن الكريم في خمسةٍ وعشرين موضعًا باللفظ نفسه، أو ما يقاربه كما مبين في الجدول الآتي[4]:

اللفظ	السورة	الآية
شجر	النحل	١٠

شجر	الواقعة	٥٢
شجرها	النمل	٦٠
الشجرة	البقرة	٣٥
	الأعراف	١٩، ٢٠، ٢٢
	الإسراء	٦٠
	القصص	٣٠
	الفتح	١٨
شجرة	إبراهيم	٢٤، ٢٦
	طه	١٢٠
	المؤمنون	٢٠
	النور	٣٥
	لقمان	٢٧
	الصافات	٦٢، ٦٤، ١٤٦
	الدخان	٤٣
شجرتها	الواقعة	٧٢

وسأكتفي بدراسة ثلاث شجرات ارتبطت كل واحدة بنبي من أنبيائه عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام.

١- الشجرة التي تمت بيعة الرضوان تحتها في الحديبية، وبايع تحتها المسلمون رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الحرب والقتال، مما أجبر الكفار على طلب الصلح. ويتضح ذلك في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨].

وقد جاء في سبب نزول هذه الآية أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خرج معتمرًا في ذي القعدة من السنة السابعة من الهجرة ومعه ألف وأربعمئةٍ من أصحابه بعد أن تخلف عنه الأعراب ممن حول المدينة. وساق النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معه الهدي، وأحرم؛ ليعلم الناس أنه لا يريد الحرب. فلما علمت قريش حالت دون المسلمين ودخول مكة، فأرسل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عثمان بن عفان ﷺ إلى مكة رسولًا، فأشيع أنه قُتل. فدعا الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حينئذ إلى المبايعة على الحرب والقتال، فبايعوه بيعة الرضوان تحت الشجرة التي أخبر الله تعالى الرسول صَلَّى

اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه رضي عن المبايعة تحتها[٥]. فقد ذكرت الآية تلك الجماعة المؤمنة التي بايعت الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تحت الشجرة، والله حاضر هذه البيعة وشاهدها وموثقها ويده فوق أيديهم.

ويقال: لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [أنتم اليوم خير أهل الأرض][٦].

ويقال: سُميت هذه البيعة (بيعة الشجرة)[٧].

وقيل: عن تلك الشجرة: إنها سمُرة، وتعرف الآن بالسنط[٨].

ويقال: إن عمر بن الخطاب ﷺ أمر بقطع هذه الشجرة في خلافته لما رأى أن بعض المسلمين يتبركون بها، وأنها قد تكون بابًا خفيًا من أبواب الشرك، والله أعلم[٩].

٢- و هذه شجرة نبي الله موسى عليه السلام كما في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ۞ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [القصص: ٢٩-٣٠].

قال ابن كثير: إن موسى عليه السلام قضى أتم الأجلين وأوفاهما وأبرهما وأكملهما، وقد يستفاد هذا من الآية الكريمة حيث قال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ﴾ [القصص: ٢٩] أي الأكمل منهما، والله أعلم.

وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد: قضى عشر سنين وبعدها عشرًا أخر، وهذا القول لم أره لغيره، وقد حكاه عنه ابن أبي حاتم وابن جرير، فالله أعلم[١٠].

وقوله: (وَسَارَ بِأَهْلِهِ) قالوا: كان موسى قد اشتاق إلى بلاده وأهله، فعزم على زيارتهم في خفية من فرعون وقومه، فتحمل بأهله وما كان معه من الغنم التي وهبها له صهره، فسلك بهم في ليلة مطيرة مظلمة باردة، فنزل منزلًا فجعل كلما أورى زنده لا يضيء شيئًا، فتعجب من ذلك، فبينما هو كذلك (آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَاراً) يعني بقوله: آنَسَ: أبصرَ وأحَسَّ[١١]. أي: رأى نارًا تضيء على بعد (قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً) أي: حتى أذهب إليها (لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ)، وذلك لأنه قد أضل الطريق (أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ) أي: قطعة منها.

واختلفت القراءة في (جذوة):

فقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، والكسائي: (جِذْوَةٍ) بكسر الجيم. وقرأ عاصم (جَذْوَةٍ) بفتحها. وقرأ حمزة، وخلف، والوليد عن ابن عامر (جُذْوَةٍ) بالضم، وكلُّها لغات.

وقال ابن عباس: الجذوة: قطعة حطب فيها نار، وقال أبو عبيدة: قطعة غليظة من الحطب ليس فيها لهب، وهي مثل الجِذْمَة من أصل الشجرة.

قال ابن مقبل[١٢]:

باتَتْ حَوَاطِبُ لَيْلَى يَلْتَمِسْنَ لَهَا جَزْلَ الجِذَا غيرَ خَوَّارٍ وَلا دَعِـــرِ

والدَّعِر: الذي قد نَخِر، ومنه رجل داعر، أي: فاسد[١٣].

وقوله: (فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ)، أي: من جانب الوادي مما يلي الجبل عن يمينه من ناحية الغرب، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [القصص: ٤٤]، والنار وجدها تضطرم في شجرة خضراء في لحف الجبل مما يلي الوادي، فوقف باهتًا في أمرها فناداه ربه (مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ)، أي: الذي يخاطبك ويكلِّمك هو رب العالمين الفعال لما يشاء، لا إله غيره ولا رب سواه، تعالى وتقدّس وتنزه عن مماثله المخلوقات في ذاته وصفاته وأقواله وأفعاله سبحانه[١٤].

وقال الماوردي: واحتمل وصفها بالبركة وجهين:

أحدهما: لأن الله كلم فيها موسى وخصه فيها بالرسالة.

الثاني: أنها كانت من بقاع الخصب وبلاد الريف.

وفي قوله: (مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) فأحل الله كلامه في الشجرة حتى سمعه موسى منها؛ لأنه لا يستطيع أن يسمعه من الله، وهذه أعلى منازل الأنبياء أن يسمعوا كلام الله من غير رسول مبلغ، وكان الكلام مقصورًا على تعريفه بأن الله رب العالمين إثباتًا لوحدانيته ونفيًا لربوبية غيره، وصار بهذا الكلام من أصفياء الله لا من رسله؛ لأنه لا يصير رسولًا إلا بعد أمره بالرسالة، والأمر بها إنما كان بعد هذا الكلام.

فإن قيل: فكيف أضاف البركة إلى البقعة دون الشجرة والشجرة بالبركة أخص؛ لأن الكلام عنها صدر ومنها سُمِعَ ؟

قيل: عنه جوابـــان:

أحدهما: أن الشجرة لما كانت في البقعة أضاف البركة إلى البقعة لدخول الشجرة فيها، ولم يخص به الشجرة فتخرج البقعة، وصار إضافتها إلى البقعة أعم.

والثاني: أن البركة نفذت من الشجرة إلى البقعة فصارت البقعة بها مباركة، فلذلك خصّها الله بذكر البركة. قاله ابن عباس[١٥].

واختلف أقوال المفسرين في الشجرة[١٦].

فقال ابن مسعود: كانت سَمُرة خضراء تبرق.

وقال قتادة ومقاتل والكلبي: كانت عوسجة.

وقال وهب بن منبه، من العليق.

وقال ابن عباس: شجرة العنَّاب.

وقال ابن جرير: حدثنا ابن وكيع، حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن عبد الله قال: رأيت الشجرة التي نودي منها موسى عليه السلام سَمُرة خضراء ترف، إسناده مقارب.

وقال محمد بن إسحاق عن بعض من لا يتهم عن وهب بن منبه قال: شجرة من العليق، وبعض أهل الكتاب يقول: إنها من العوسج.

وقال قتادة: هي من العوسج وعصاه من العوسج[١٧].

٣- وهذه الشجرة هي شجرة اليقطين التي أنبتها الله عز وجل على نبيه يونس عليه السلام بعد أن ألقاه الحوت على الشاطئ، وقال عنها المولى: إنها شجرة كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ﴾ [الصافات: ١٤٦][١٨].

وسأذكر أقوال المفسرين فيها، مع ما فيها من تنازع عند بعض الباحثين الذين يذهبون إلى أنها من فصيلة النباتات، وليس من فصيلة الأشجار التي تقوم على ساقٍ صُلبة.

وقد ورد ذكر هذه النبتة مرةً واحدةً في القرآن الكريم، وأثبتناها في هذا الكتاب الذي عني بالأشجار التي ذكرت في القرآن الكريم، لأن الله سبحانه وتعالى وصفها بالشجرة كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ﴾ [الصافات: ١٤٦].

هذه الآية متعلقة بالآية التي قبلها وهي قوله تعالى: ﴿فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ١٤٥]، روي أن الحوت نبذ سيدنا يونس بساحل قرية في الموصل من العراق.

وقال ابن قُسَيْط عن أبي هريرة: طرح يونس بالعراء وأنبت الله عليه يقطينة، فقلنا يا أبا هريرة: وما اليقطينة ؟ قال: شجرة الدُّبَّاء، هيأ الله له أُرْوِية[١٩] وحشية تأكل من خَشَاش الأرض- أو هَشَاش الأرض- فَتَفْشِخ[٢٠] عليه فترويه من لبنها كل عشية وبكرة حتى نبت.

قال سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: خرج به- يعني الحوت- حتى لفظه في ساحل البحر، فطرحه مثل الصبيّ المنفوس لم ينقص من خلقه شيء[٢١].

وقال ابن مسعود ﷺ كهيئة الفرخ ليس عليه ريش[٢٢].

فقال عز وجل: (فَنَبَذْنَاهُ) أي: طرحناه، إنما أضاف النَّبْذ إلى نفسه وإن كان الحوت هو النابذ لأن أفعال العباد كلها مخلوقة لله تعالى. (بِالْعَرَاءِ) أي: الأرض الخالية عن الشجر والنبات[٢٣].

وفي العراء أربعة أقوال[٢٤]:

أحدها: بالساحل، قاله ابن عباس.

والثاني: بالأرض، قاله السدي، وقال الضحاك: (هي أرض يقال لها: بلد) وهي إحدى نواحي العراق في محافظة صلاح الدين الآن.

والثالث: موضع بأرض اليمن.

والرابع: الفضاء الذي لا يواريه نبت ولا شجر.

ومنه قول الشاعر[٢٥]:

ورفعت رجْلًا لا أخاف عثارها ونبذت بالبلاد العراء ثيابـــي

وقيل: إن يونس لما ألقاه الحوت على ساحل البحر أنبت الله عليه شجرة من يقطين، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ﴾ [الصافات: ١٤٦]، أي: شجرة فوقه تظلل عليه، وقيل: معنى عليه: عنده وقيل: معنى عليه: له[٢٦].

واليقطين: هي شجرة الدباء، وقال المبرد: اليقطين يقال لكل شجرة ليس لها ساق، بل تمتد على وجه الأرض نحو الدباء، والبطيخ، والحنظل، فإن كان لها ساق يقلها، فيقال لها شجرة فقط[٢٧].

وفي قوله عز وجل ﴿وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ﴾ عدة أقوال[٢٨]:

أحدها: أنه القرع، وقال هشيم عن القاسم بن أبي أيوب عن سعيد بن جبير: كل شجرة لا ساق لها فهي من اليقطين[٢٩].

ومنه قول أمَّية بن أبي الصلت قبل الإسلام[٣٠]:

فأَنْبَتَت يَقْطِينًا عَلَيْه بِرَحْمَـــــةٍ مِنَ الله لَوْلا الله أُلْفِيَ ضَاحِيًا

وقال الزجاج: كل شجرة لا تنبت على ساق وإنما تمتدُّ على وجه الأرض نحو القرع والبطيخ والحنظل، فهي يقطين، واشتقاقه من: قَطَنَ بالمكان: إذا أقام، فهو (يَفعيل)، وقيل: هو اسم أعجمي. فهذا الشجر ورقه كلّه على وجه الأرض فلذلك قيل له: يقطين[٣١].وهذا القول الاول.

والثاني: أنه كل شجرة ليس فيها ساق يبقى من الشتاء إلى الصيف، أي: تهلك من عامها فهي من اليقطين. قاله: سعيد بن جبير أيضًا.

والثالث: أنها شجرة لها ورق عريض، قاله ابن عباس.

والرابع: أنه كل ما ينبسط على وجه الأرض من البطيخ والقثاء ونحوها، رواه القاسم بن أبي أيوب.

والخامس: أنها شجرة سماها الله تعالى يقطينًا، رواه هلال بن حيان.

وهو من (تفعيل) من قطن بالمكان أي: أقام إقامة زائل لا إقامة راسخ كالنخل والزيتون. فمكث يونس تحتها يصيب منها ويستظل بها حتى تراجعت نفسه إليه، ثم يبست الشجرة فبكى حزنًا عليها، فأوحى الله تعالى إليه: أتبكي على هلاك شجرة ولا تبكي على هلاك مئة ألف أو يزيدون ؟ حكاه ابن مسعود.

وحكى سعيد بن جبير أنه لما تساقط ورق الشجر عنه أفضت إليه الشمس فشكاه، فأوحى الله تعالى إليه: يا يونس جزعت من حر الشمس ولم تجزع لمئة ألف أو يزيدون تابوا إليّ فتبت عليهم[٣٢].

والسادس: قيل: هي شجرة التين.

والسابع: قيل: شجرة الموز تَغطَّى بورقها، واستظل بأغصانها، وأفطر على ثمارها[٣٣]. وهذه الشجرة تدخل ضمن قول سعيد بن جبير، لأنها تموت من عامها.

والقول الأول أرجح الأقوال وهو ما عليه أكثر المفسرين.

والعرب تطلق على كل نبت يمتد وينبسط على وجه الأرض كالقرع والقثاء والبطيخ والحنظل ونحوه يقطين. إلا أن الخازن أنكر ذلك بقوله: كان يونس يستظل بتلك الشجرة ولو كانت منبسطة على الأرض لم يكن أن يستظل بها.

وأقول: أن هذا النبات أنبتهُ الله تعالى له ولم يكن قبل ذلك وكان معروشًا ليحصل له الظل، فتكون هذه الشجرة فراشًا وظلًا وطعامًا له. والله تعالى أعلم.

وقد طرح ابن الجوزي تساؤلًا: فإن قيل: ما الفائدة في إنبات شجرة اليقطين عليه دون غيرها ؟ فالجواب: أنه خرج كالفرخ على ما وصفنا، وجلده قد ذاب، فأدنى شيء يَمرُّ به يؤذيه، وفي ورق اليقطين خاصِيَّةٌ، وهو أنه إذا ترك على شيء لم يقربه الذباب، فأنبته الله ليغطيَه ورقُها ويمنع الذباب ريحه أن يسقط عليه فيؤذيه فهذه الشجرة لا يجتمع الذباب عندها[٣٤].

المطلب الثاني: أثر الأشجار والنباتات على البيئة.

تعددت وتنوعت نعم الله عز وجل على الإنسان في كل جانب من جوانب الحياة، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: ١٨]، ومن مخلوقات الله ما يقدم النفع والفائدة للإنسان بشكل مباشر ملموس ومحسوس، ومنها ما يقدم هذه الوظائف بشكل غير مباشر، ومنها ما يقدم هذه الوظائف بشكل مباشر وغير مباشر في آن واحد.

والتأمل في هذه النعم يرتقي بإيمان الفرد إلى درجات عالية، فهو يستشعر قدرة الخالق عز وجل على التدبير والترتيب والتنظيم المحكم المتقن، كما يلمس صفة الكرم التي تليق بجلاله، ويدرك الأهداف التي من أجلها أنعم عليه بهذه النعم، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۞ الَّذِينَ

يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١].

وتعد الأشجار والنباتات من نعم الله العظيمة التي تحقق في الحياة وظائف متنوعة، وفوائد عدة، منها ما هو ظاهر ملموس، ومنها ما هو خفي محسوس.

وترتبط الحياة بارتباط وجود الأشجار والنباتات، فلا يمكن أن توجد في الأرض حياة بدون النباتات، فكما لا يستطيع الناس الحياة بدون الهواء أو الطعام، فإنهم لا يستطيعون الحياة كذلك بدون النباتات، فالأوكسجين الذي نتنفسه ينتج عن النباتات، ونحصل على الطعام من النبات أو الحيوان الذي تغذى بدوره على النبات، ونبني المساكن ونصنع العديد من المنتجات النافعة من الأخشاب، ونصنع غالبية ملابسنا من ألياف القطن أو الكتان(٣٥).

وعن أهمية الزراعة والخضرة ودورها في الحياة، يقول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ [النحل: ١٠].

فقد أشارت الآية الكريمة إلى فضل الله سبحانه وتعالى على عباده، ومن ذلك أنه ينزل لهم من السماء ماءً فيخرج لهم بهذا الماء شجرًا يأكلون منه، ويرعون فيه دوابهم، ويعود عليهم درها ونفعها(٣٦).

ويكمل القرآن رسم الصورة حيث يقول الله تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ [النمل: ٦٠].

وتبين الآيتان الكريمتان أن الله وحده هو المنفرد بالخلق والرزق والتدبير، فهو الذي خلق السموات والأرض، وأنزل من السماء المطر فأنبت لنا كل نبات جميل. وينفي القرآن الكريم هذه القدرة عن غير الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا﴾ ويقول علماء اللغة (ما كان) تأتي للماضي وللتوكيد وبمعنى القدرة كقوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا﴾(٣٧).

وقد جاءت الأحاديث النبوية الشريفة وافية بالوعظ والإرشاد لما فيه خير العباد في كل ما يهم المسلم، وكذلك في أمر النباتات فقد حث الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الزراعة لما في ذلك من فائدة للإنسان والحيوان، ونهى عليه الصلاة والسلام عن قطع الأشجار في الحرم المكي لما في القطع من الفساد وضرر للإنسان والحيوان، وتدهور للبيئة والاعتداء عليها، وفي هذا السياق جاءت أحاديث تنهى عن قطع الأشجار وتحث على الاهتمام بالزراعة والعناية بها.

فقد أكد عليه الصلاة والسلام على دور الأشجار في توفير الطعام للإنسان والدواب والطيور، بقوله: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ، أَوْ إِنْسَانٌ، أَوْ بَهِيمَةٌ إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ»(٣٨).

وقد صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ محمدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قوله: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا إِلَّا كَانَ مَا أُكِلَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةً، وَمَا سُرِقَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةٌ، وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ مِنْهُ فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ، وَمَا أَكَلَتِ الطَّيْرُ مِنْهُ فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ، وَلَا يَرْزَؤُهُ أَحَدٌ إِلَّا كَانَ لَهُ صَدَقَةٌ»(٣٩).

وعَنْ جَابِرٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَى أُمِّ مُبَشِّرٍ الْأَنْصَارِيَّةِ فِي نَخْلٍ لَهَا، فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ غَرَسَ هَذَا النَّخْلَ؟ أَمُسْلِمٌ أَمْ كَافِرٌ؟» فَقَالَتْ: بَلْ مُسْلِمٌ، فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَغْرِسُ مُسْلِمٌ غَرْسًا، وَلَا يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلَ مِنْهُ إِنْسَانٌ، وَلَا دَابَّةٌ، وَلَا شَيْءٌ، إِلَّا كَانَتْ لَهُ صَدَقَةً»(٤٠).

وروى عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «مَنْ زَرَعَ زَرْعًا فَأَكَلَ مِنْهُ الطَّيْرُ أَوِ الْعَافِيَةُ(٤١) كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ»(٤٢).

وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ(٤٣) فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لاَ يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ»(٤٤).

وقد صح عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قوله: «إِنَّ مَكَّةَ حَرَّمَهَا اللَّهُ وَلَمْ يُحَرِّمْهَا النَّاسُ فَلَا يَحِلُّ لِامْرِئٍ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَنْ يَسْفِكَ بِهَا دَمًا وَلَا يَعْضِدَ(٤٥) بِهَا شَجَرَةً...»(٤٦).

كما صح عن النبي محمدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ وَإِنِّي حَرَّمْتُ الْمَدِينَةَ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا(٤٧) لَا يُقْطَعُ عِضَاهُهَا(٤٨) وَلَا يُصَادُ صَيْدُهَا»(٤٩).

كما روي عن رافع بن خديج قال سمعت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «لَا قَطْعَ فِي تمر وَلَا كَثَرٍ(٥٠)»(٥١).

كما صَحَّ عن أنس ﷺ عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «الْمَدِينَةُ حَرَمٌ مِنْ كَذَا إِلَى كَذَا لَا يُقْطَعُ شَجَرُهَا وَلَا يُحْدَثُ فِيهَا حَدَثٌ مَنْ أَحْدَثَ حَدَثًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»(٥٢).

وقد روي: عن عبد الله بن سلام قوله: «مَا بَيْنَ كَذَا وَأُحُدٍ حَرَامٌ حَرَّمَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا كُنْتُ لأَقْطَعَ بِهِ شَجَرَةً وَلاَ أَقْتُلَ بِهِ طَائِرًا»(٥٣).

ومن خلال النصوص الآنفة التي تدعو إلى ضرورة الاعتناء بالعناصر البيئية كالنباتات والأشجار، من خلال الترغيب في الإكثار من غرسها ورعايتها، حرصًا منه على ترسيخ الاهتمام بها، لكونها من العناصر الضرورية لحياة الإنسان، الذي استخلفه الله تعالى في ملكه، وجعله أمينًا على مقدراته، وأوجب عليه أن يتصرف تجاهه تصرف الأمين، فلا يلوث هواءه ولا يدنس ماءه، ولا يفسد زرعه.

فقد أشارت الأحاديث النبوية إلى الدعوة إلى الزراعة والاهتمام بها لما لها من أجر عظيم وأنها تكون سببًا من أسباب الصدقات التي ترجع بالخير لصاحبها، ويؤكد هذا المعنى فعل الصحابي الجليل أبي الدرداء حين غرس شجرة جوز، وهو شيخ طاعن في السن، فسأله أحدهم: أتغرس هذه الجوزة وأنت شيخ كبير وهي لا تثمر إلا بعد كذا وكذا من السنين ؟ فأجابه: وماذا عليَّ أن يكون لي ثوابها ولغيري ثمرها(٥٤).

كما وردت أحاديث للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ينهى فيها عن قطع الأشجار والإضرار بالنبات فأسس لمحميات بيئية تعيش فيها الكائنات بأمان كحمى مكة والمدينة، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ مَكَّةَ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فَهْيَ حَرَامٌ بِحَرَامِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَمْ تَحِلَّ لأَحَدٍ قَبْلِي وَلَا تَحِلُّ لأَحَدٍ بَعْدِي وَلَمْ تَحْلِلْ لِي إِلَّا سَاعَةً مِنَ الدَّهْرِ لَا يُنَفَّرُ صَيْدُهَا وَلَا يُعْضَدُ شَوْكُهَا وَلَا يُخْتَلَى خَلاَهَا وَلَا تَحِلُّ لُقَطَتُهَا إِلَّا لِمُنْشِدٍ»(٥٥).

واستثنى النبي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من ذلك الشجرة المؤذية، لما روي عن أبي هريرة ﷺ عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «كَانَتْ شَجَرَةٌ تُؤْذِي أَهْلَ الطَّرِيقِ فَقَطَعَهَا رَجُلٌ فَنَحَّاهَا عَنْ الطَّرِيقِ فَأُدْخِلَ بِهَا الْجَنَّةَ»(٥٦).

وقد اهتمَّ الصحابة بالأشجار والنباتات، ووضح حرصهم على صيانة المزروعات بتحريم قطعها حتى في حالة الحرب، ففي وصية الخليفة أبي بكر ﷺ ليزيد بن سفيان لما بعثه على جيش الشام: [إِنِّي مُوصِيكَ بِعَشْرٍ: لَا تَقْتُلَنَّ امْرَأَةً، وَلَا صَبِيًّا، وَلَا كَبِيرًا هَرِمًا، وَلَا تَقْطَعَنَّ شَجَرًا مُثْمِرًا، وَلَا نَخْلًا، وَلَا تَحْرِقْهَا، وَلَا تُخَرِّبَنَ عَامِرًا، وَلَا تَعْقِرَنَّ شَاةً، وَلَا بَقَرَةً، إِلَّا لِمَأْكُلَةٍ، وَلَا تَجْبُنْ، وَلَا تَغْلُلْ.](٥٧).

وقد أكدت الدراسات العلمية على أهمية الأشجار والنباتات في المحافظة على التوازن البيئي في الطبيعة، وتعد النباتات من أهم العوامل المحافظة على التوازن البيئي. ونستطيع أن ندرك هذه الحقيقة عبر إجراء مقارنة بسيطة، فالحيوانات والكائنات الحية الأخرى التي تعيش في عالمنا تستخدم الأوكسجين وتطلق غاز ثاني أكسيد الكربون إلى الجو. وكذلك تطلق الحرارة وبخار الماء. وتقوم المصانع أيضًا بإفراز كمية من الحرارة وثاني أكسيد الكربون نتيجة مختلف الأنشطة الصناعية. وفي المقابل تقوم النباتات والأشجار بوظائف مهمة للحفاظ على البيئة والحياة ومنها(٥٨):

١- تنقية الجو من الجراثيم والفيروسات والغازات السامة:

تؤدي الغابات دورًا كبيرًا في تنقية الجو وتعقيمه من الجراثيم والفيروسات، بإفرازها مواد مختلفة **(phytocide)** لها تأثير مثبط وقاتل للجراثيم والفطور والأحياء الدقيقة المرضية، كما تفرز الأشجار المواد العطرية الطيارة التي تمتاز بتأثيرها المميت على الجراثيم والفيروسات، التي تؤثر على الأحياء الدقيقة فتموت خلال (١٠-١٥) دقيقة، مثال أشجار الصنوبر والبلوط والزيزفون والغار والعرعر وغيرها. وشجيرات الآسس تفرز موادًا سامة بتركيز ١٠ **ppm** (جزء بالمليون) قاتلة لجراثيم السل وغيرها، ولهذا السبب تقل نسبة الجراثيم في هواء الغابات بـ(٢٠٠) مرة عنها في هواء المدن. كما اتفق معظم الباحثين على الدور الفعال للنباتات في تنقية الهواء، وامتصاص الغازات غير المرغوبة، ويتم هذا بواسطة أوراق النباتات. ولبعض النباتات قابلية على امتصاص هذه الروائح غير المرغوبة، وتحويلها إلى روائح مرغوبة عن طريق بعض التفاعلات الداخلية(٥٩).

ولذلك فمن الأهمية بمكان زيادة نسبة الأشجار والحدائق في المدن وخاصة حول المستشفيات والمصحات وفي المنازل والمدارس وغيرها. وتُظهر الدراسات الحديثة مدى تأثير هواء الغابات والحدائق على صحة الإنسان إذ تزيد من

نشاط الجملة العصبية والنشاط العام للجسم واكتساب المناعة لمقاومة الأمراض المختلفة. كما أن الأشجار يمكنها المساعدة في التهوية الجيدة داخل الشوارع، حيث تساعد الأشجار على عمل دوامات هوائية لتغيير مسار الرياح وحيث إنها تستطيع تنقية هذه الرياح من الأتربة فإنها تحولها إلى نسيم رطب[٦٠].

٢- تخفيض درجة الحرارة:

للأشجار والنباتات القدرة على تخفيض درجة الحرارة صيفًا بمقدار (٥-٦) درجة مئوية على الأقل، ورفع درجة الحرارة الصغرى شتاءً، وزيادة نسبة الرطوبة بمقدار من (١٥%) إلى (٢٠%). وعلى سبيل المثال فإن شجرة زان واحدة تنتج حوالي (٥٤٥) لترًا من الماء خلال يوم الصيف، مما يؤدي إلى تبريد الهواء ورفع نسبة الرطوبة، كما أن شجرة ذات جذع بقطر (٧) سم تتساوى في التبريد مع قدرة جهاز تكييف يتكلف حوالي (٨٥) دولارًا ويستهلك كهرباء بحوالي (٥) دولارات في اليوم[٦١].

٣- الحد من الضوضاء:

أثبتت الدراسات أن وجود الأشجار على جانبي الطرق من شأنه أن يحد من شدة الضوضاء، فقد اتضح أن بإمكان الأشجار تحويل الضوضاء عن اتجاهها أو عكسها إلى اتجاه آخر. فبزراعة سياج من نبات (أيبرس) بعرض (٦٠) سم وجد أنه يخفف الضوضاء بمقدار (٥) ديسبيل[٦٢]، وبزراعة الأشجار في الشوارع والميادين لتقليل الضوضاء الناتجة عن المرور، وجد أنها تخفض الضوضاء بمقدار (١٠-١٥) ديسبيل، وعليه فقد أوصت هذه الدراسات بزراعة الميادين والشوارع بالأشجار[٦٣]. كما أن كل فرع من أفرع النباتات يحدث رنينًا خاصًا يتراوح بين (٢٧٥-٤٥٠ لفة/ثانية) مما يحدث اهتزازات أو ذبذبات تعمل على الامتصاص أو القضاء على الضوضاء الزائدة[٦٤].

٤- التظليل:

يعد ظل الأشجار من الوظائف البيئية للأشجار. وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا﴾ [النحل: ٨١]، وذهب بعض المفسرين عند تفسير هذه الآية إلى أن الله تعالى جعل لكم ما تستظلون به من الأشجار وغيرها[٦٥].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ﴾ [الصافات: ١٤٦]، وذهب بعض المفسرين إلى أن الحكمة الإلهية من إنبات شجرة اليقطين على نبيه يونس عليه السلام، لما لليقطين من فوائد منها: سرعة إنباته ونموه، وتظليل ورقه لكبره ونعومته، ثم إن ثمرته تؤكل نيئة ومطبوخة، وهناك ميزة أخرى وهي أن الذباب لا يقرب شجرة اليقطين[٦٦].

وقد جاءت السنة النبوية لتؤكد عدم جواز قطع الأشجار التي يستظل بها، فقد روي عن عبد الله بن حبشي أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: [من قطع سدرة صوب الله رأسه في النار] سئل أبو داود عن معنى هذا الحديث فقال هذا الحديث مختصر يعني [من قطع سدرة في فلاة يستظل بها ابن السبيل والبهائم عبثًا وظلمًا بغير حق يكون له فيها صوب الله رأسه في النار][٦٧].

كما بدأ الناس اليوم باستخدام الأشجار في عملية التظليل للواجهات الخارجية للمباني مما يخفف من حدة الإشعاع الشمسي الساقط عليها، وبالتالي تقليل الأحمال الحرارية على المباني، وتقليل الإحساس بالحرارة وبالتالي الوفر في الطاقة المستخدمة للتبريد. ولهذا يعتبر التوازن البيئي مقصدًا شرعيًا بل هو من أهم مقاصد التربية الاجتماعية في الإسلام، من حيث ربط الفرد ربطًا وثيقًا ببيئته الطبيعية، وتوجيهه إلى حسن استثمارها؛ لأنها قوام حياته، فقد جعل الله سبحانه وتعالى ما عليها من حيوان ونبات وتربة وماء وهواء وما فيها من معادن مسخرًا لخدمته، ومهيأ لفائدته إذا ما أحسن وسائل استغلالها، إذ تقوم نظرة الإسلام إلى البيئة ومواردها على الحماية ومنع الإفساد، فضلًا عن البناء والعمارة والتنمية، والحث على التوازن البيئي وغرسه في نفوس أولادنا وطلبتنا وتوعيتهم بضرورة الحفاظ على البيئة بشكل عام، والتوازن البيئي بشكل خاص، لأن الله سبحانه خلق البيئة متوازنة، وإنها خلقت على نظام بديع متكامل العناصر، لا يطغى فيها عنصر على آخر، ولكل عنصر وظيفة يؤديها دون أن يظلم منها شيء، وهذه القاعدة قررتها الآيات القرآنية وأكدتها السنة النبوية.

المطلب الثالث: أثر الأشجار على النفس الإنسانية.

أولى القرآن الكريم عناية قصوى بالنبات وذكر عدد من الأشجار والنباتات والثمار ونحوها، وذكر جملة من ثمار الجنة وفواكهها بأسمائها التي نعرفها في الدنيا، بل إن الله تعالى سمى دار نعيم الآخرة بالجنة، والجنات، وأعد للمتقين حدائق وأعنابًا، فقد حث القرآن الكريم الناس إلى حب الأشجار والنباتات والجنات والحدائق، والعناية بها، باعتبار أن الله يحبها ولذلك ذكرها في كتابه العزيز بهذه العناية، وجعل سبحانه مكافأة المتقين أن يكونوا فيها، وفي ذلك إشارة إلى أن الأشجار وألوانها وثمارها تُدخل الراحة إلى النفس الإنسانية، فهذا بمثابة التوجيه الرباني لحب الجنان والحدائق والأشجار، وللتهيئة النفسية للمسلمين بأن مصيركم يكون في الحدائق، أي أنكم في الدنيا تسعدون مع الحدائق، وفي الآخرة كذلك تسعدون بها وتنعمون بها[٦٨].

(فالألوان الزاهية المختلفة في عالم النبات تجسد قيمة جمالية وترفيهية للإنسان، وتحدث أكبر الأثر في نفوس البشر، فتوقظ المشاعر، وتهز القلب، وتسر الناظرين، وتريح العين، وتمنح التذوق الجمالي الرفيع، وتبعث في النفس السرور

والبهجة والنشاط والحيوية وصفاء الفكر وراحة الأعصاب، يقول تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ [النمل: ٦٠]. وقوله تعالى: ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ [النحل: ١٣])[٦٩].

فاللون الأخضر له أهمية في نفوس البشر، ويعطي الراحة والصفاء والتفكير والتأمل، كما يدل اللون الأخضر في النبات على الحيوية والنشاط في فصل الربيع، ولولا النبات الأخضر لانعدمت الحياة على سطح الأرض.

واللون الأخضر أساسي في حياة النبات، حيث تقوم الصابغات الخضراء في الأوراق بعملية التركيب الضوئي وصنع الغذاء لنمو النباتات والذي يكون سببًا مهمًا للحياة.

وتتجلى حكمة الخالق تبارك وتعالى في جعل الأشجار والنباتات تتسم باللون الأخضر لما يحققه هذا اللون من الراحة النفسية للإنسان، ومما يؤكد أن اللون الأخضر يحقق الراحة والهدوء النفسي أن الله سبحانه وتعالى قد جعله لون الوسائد في الجنة فقال تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ [الرحمن: ٧٦]، (أي وسائد ذات أغطية وفرش حسان)[٧٠].

كما جعله الله سبحانه وتعالى لون ثياب أهل الجنة فقال تعالى: ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٢١]، وهذا من عجائب القرآن.

وفي دراسة على خلايا الشبكية وعلاقتها بالألوان خلصت الدراسة إلى أن (٨٠%) من خلايا شبكية العين مخصصة لاستقبال اللون الأخضر مقابل (٢٠%) للونين الأحمر والأزرق، ومن النتائج التي خلصت إليها الدراسة أيضًا أن اللون الأخضر يجلب الراحة النفسية والإشباع البصري الذي يسببه هذا اللون، كما أضاف أن اللون الأبيض يقلل من حدة الإبصار، والأحمر يثير الانتباه[٧١].

وهناك إجماع من الأطباء النفسيين أن اللونين الأزرق والأخضر قد يؤثران بشكل إيجابي على الإنسان، لأنهما يؤديان إلى استقرار الحالة النفسية والتخلص من القلق والخوف والتوتر، وذلك بتنمية الانسجام مع الذات، ولعل ذلك وراء الحكمة الإلهية في خلق السموات والبحار باللون الأزرق وجعل النبات أخضر مما يساهم في الاستقرار النفسي[٧٢]، لأنه يضفي جوًا من الاسترخاء والهدوء والصدق والسكينة والأمان والانسجام والتفاؤل.

وقد ارتبط اللون الأخضر المميز للأشجار بالحياة عكس اللون الأصفر، فقال سبحانه وتعالى في تأكيد ارتباط اللون الأخضر بالحياة: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا.....﴾ [الأنعام:٩٩]، بينما عبر عن الدمار باللون الأصفر فقال عز وجل: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا﴾ [الحديد: ٢٠]

كما ذكر تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ﴾ [يوسف: ٤٣]. وهذا ما نشعر به عند المرور في الصحراء فعندما نرى الأشجار نُحِسُّ بأن في هذا المكان حياةً، أو أسبابَ الحياة.

ولعل الناظر المتأمل إلى قول الحق تبارك وتعالى فيما جاء على لسان سيدنا إبراهيم عليه السلام يستطيع أن يلمس مدى أهمية الأشجار والنباتات لحياة الإنسان، في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم:٣٧] .

كما يبين الله تبارك وتعالى دور الأشجار في تحقيق البهجة والجمال في قوله: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا﴾ [النمل: ٦٠].

وتعد الأشجار والنباتات من أهم المظاهر الطبيعية وأجملها في المدن، لتغيير أشكال كتلها وتكويناتها، ولتغيراتها المستمرة في كل موسم أو فصل من فصول السنة؛ لأن تتابع الفصول يتبعه تغيير في ألوان الأشجار والنباتات وفي حالتها من حيث تواجد الأوراق أو تساقطها، فأشجار الزان– على سبيل المثال– نلاحظ أن لون أوراقها أخضر فاتح في فصل الربيع، ثم تتكاثف ويتحول لونها إلى الأخضر الداكن في فصل الصيف، ثم يميل إلى اللون البرونزي في فصل الخريف. كما أن الثلوج والندى والأمطار تكسب الأشجار تأثيرات وتكوينات جميلة. هذا بجانب أن الأشجار تذكرنا بالأشكال الطبيعية وما أودع الله فيها من جمال وحركة وحياة(٧٣).

كما أن للأشجار فائدة كبيرة على صحة السكان من الناحية الفسيولوجية، حيث إن لها تأثيرًا مهدئًا على الحالة النفسية لسكان المدن ولا سيما الذين يعملون في مهام مرهقة، فإن الخضرة تعيد لهم التوازن بسهولة إذا ما تأملوا المناظر الطبيعية، إن الحدائق هي إحدى الروابط القوية بين الإنسان وبيئته، ولهذا تعد المساحات الخضراء المكان

المفضل للسياحة لتوافر الهواء النقي الغني بالأكسجين. كما يكتسب الأطفال قدرات جديدة لمجرد خروجهم إلى هذه الأماكن المفتوحة للعب أو الالتقاء بأقرانهم وتغيير جـو البيت المعتاد، مما يساعدهـــم على النمو السليم مـــن الناحية العضويـة والنفسية والاجتماعية(٧٤).

(كما أنه وجد عند زراعة الأشجار على جانبي الطرق تعمل على تحقيق الخصوصية البصرية الخارجية لسكان العمارات المتقابلة، حيث تمثل أغصان الأشجار ستائر تحجب الرؤية ولا تمنع مرور الهواء)(٧٥).

النتائـج:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة على خير الخلق سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعـد: فقد استعرضنا فيما سبق [الأشجار وأثرها على الإنسان والبيئة من منظور قرآني] ندعو الله أن نكون قد أوفينا، راجين من الله الاستفادة منه، وفيما يأتي النتائج التي تم التوصل إليها في هذا البحث:

١. تظهر عظمة الله سبحانه وتعالى عند التأمل في فوائد الأشجار والنباتات في الحياة عامة والأشجار التي ذكرت في القرآن الكريم خاصة، فلا يملك المتأمل إلا أن يقر بعظمة الخالق سبحانه وتعالى، وتفضله على الإنسان، بأن هيأ له سبل العيش وأمده بما يمكنه من القيام بدوره في هذه الحياة على أكمل وجه.

٢. أكدت الدراسة على ضرورة حث الناس إلى هذه النعمة العظيمة (الأشجار) بالحفاظ عليها وعدم الإسراف والتبذير فيها، لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام:١٤١].

والإكثار من زراعة الأشجار، ولذلك أمر الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المؤمن بغرس الفسيلة التي بيده حتى لو جاءت الساعة.

٣. أشارت الدراسة إلى ضرورة توجيه الناس نحو الجماليات والمحسنات من خلال النظر والتمتع بجمال الأشجار والأزهار والخضرة والثمار كما قال تعالى: ﴿انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ﴾ [الأنعام: ٩٩]، فالعناية بالجمال والزينة مقصد شرعي أصيل.

٤. أفادت الدراسة أن للأشجار دورًا هامًا في المحافظة على التربة والمياه، ففي المناطق المكشوفة تعمل الأشجار كمصدات للرياح، كما تمنع جذورها انجراف التربة، وتساعد أيضًا على تخزين المياه في الأرض، وتساعد

الأشجار في الحفاظ على توازن الغازات ونقائها في الجو، إذ تمتص أوراق الأشجار غاز ثاني أكسيد الكربون من الهواء وتطلق غاز الأوكسجين، وهتان العمليتان ضروريتان لبقاء الإنسان، ولا يمكن أن يعيش الإنسان في جو ترتفع فيه نسبة ثاني أكسيد الكربون أو تقل فيه نسبة الأوكسجين عن الحد المعقول.

٥. **وقد أشارت الدراسة إلى حكمة الخالق تبارك وتعالى في جعل الأشجار والنباتات تتسم باللون الأخضر لما يحققه هذا اللون من الراحة النفسية للإنسان، ومما يؤكد أن اللون الأخضر يحقق الراحة والهدوء النفسي أن الله سبحانه وتعالى قد جعله لون الوسائد في الجنة فقال تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ [الرحمن: ٧٦]، (أي وسائد ذات أغطية وفرش حسان)**(٧٦).

الهوامش

(١) ينظر: الصحاح في اللغة: ٦٤٧/١، ومجمل اللغة: ٥٢١/٢. والمفردات في غريب القرآن: ٢٥٩.

(٢) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم: ٤٧٣/١، والمعجم الوسيط: ٦٦/٢.

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف معجم لغوي مصطلحي: ٢٢٤.

(٤) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: ٤٦٧-٤٧٧.

(٥) ينظر: أسباب النزول: ٣٢٠، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٤١٠/٢، وتفسير القرآن العظيم: ١٩٠/٤-١٩١.

(٦) صحيح مسلم: كتاب الإمارة، باب استحباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال وبيان بيعة الرضوان تحت الشجرة، ١٤٨٣/٣، رقم (١٨٥٦)، الجامع لأحكام القرآن: ١٨١/٦، وفي ظلال القرآن: ٣٣٢٥/٦.

(٧) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: ٦٠/٥.

(٨) ينظر: تفسير المراغي: ١٠٠/٢٦.

(٩) ينظر: عالم النبات في القرآن الكريم: ١٠٩.

(١٠) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٢١٠/٦.

(١١) ينظر: جامع البيان: ٢٢/٦، وتفسير القرآن العظيم: ٢١٠/٦.

(١٢) ينظر: مجاز القرآن: ١٠٣، وجامع البيان: ٧٠/٢٠، ومجمع البيان: ٢٨٤/٢٠، والجامع لأحكام القرآن: ٢٨١/١٣.

(١٣) ينظر: زاد المسير: ١٠٦٣، وتفسير القرآن العظيم: ٢١٠/٦.

(١٤) ينظر: توفيق الرحمن في دروس القرآن: ٣٧١/٣.

(١٥) ينظر: النكت والعيون: ٢٥١/٤، وزاد المسير: ١٠٦٣.

(١٦) ينظر: النكت والعيون: ٢٥١/٤، ومعالم التنزيل: ٩٨٠، وزاد المسير: ١٠٦٣، وفتح القدير: ١١٠٠.

(١٧) ينظر: جامع البيان: ٦٩/١٠، وتفسير القرآن العظيم: ٢١١/٦.

(١٨) ينظر: التفسير الكبير (مفاتيح الغيب): ١٩٧/٢٦، والتسهيل لعلوم التنزيل: ٣٨٢/٣، وتفسير القرآن العظيم: ٢٠/٤، وفي ظلال القرآن: ٢٩٩٩/٥.

(١٩) الأروية: الأنثى من الوعول، ينظر: غريب الحديث للحربي: ٥٠٠/٢، باب (هجن).

(٢٠) تفشج: تفرج ما بين رجليها، ينظر: المعجم الوسيط: ٦٨٩/٢، باب الفاء.

(٢١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٢٨/١٥.

(٢٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٣٦/٧.

(٢٣) ينظر: لباب التأويل في معاني التنزيل: ٢٨/٤.

(٢٤) ينظر: النكت والعيون: ٦٨/٥.

(٢٥) البيت في: جامع البيان: ١٠١/٢٣، والنكت والعيون: ٦٨/٥، ولسان العرب: مادة (عرا).

(٢٦) ينظر: معالم التنزيل: ١١٠١، وفتح القدير: ١٢٥٠.

(٢٧) ينظر: فتح القدير: ١٢٥٠.

(٢٨) ينظر: النكت والعيون: ٦٨/٥.

(٢٩) ينظر: جامع البيان: ٥٣٠/١٠، ولباب التأويل في معاني التنزيل: ٢٨/٤.

(٣٠) ديوانه: ١٩٦، والبيت في: جامع البيان: ١٠٣/٢٣، ومجمع البيان: ٨٢/٢٣، والبحر المحيط: ٣٧٥/٧.

(٣١) ينظر: زاد المسير: ١١٩٧، وفتح القدير: ١٢٥١.

(٣٢) ينظر: جامع البيان:، ٣٢٦/٦، والنكت والعيون: ٦٩/٥، وزاد المسير: ١١٩٧، والجامع لأحكام القرآن: ١٢٨/١٥، وتفسير القرآن العظيم: ٣٦/٧، وفتح القدير: ١٢٥١.

(٣٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٢٨/١٥.

(٣٤) ينظر: زاد المسير، ١١٩٧، والجامع لأحكام القرآن: ١٢٩/١٥، ولباب التأويل في معاني التنزيل: ٢٨/٤.

(٣٥) ينظر: فوائد الأشجار والنباتات في القرآن والسنة: ١، وعالم النبات في القرآن الكريم: ٤٣.

(٣٦) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٥٥/١٠، والتسهيل لعلوم التنزيل: ٢٧٥/٢.

(٣٧) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٣٤٦/٣، والبرهان في علوم القرآن: ٣١١. وعالم النبات في القرآن: ١١٢.

(٣٨) صحيح البخاري، كتاب المزارعة، باب فضل الزرع والغرس إذا أكل منه، ١٠٣/٣، رقم(٢٣٢٠)، وصحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب فضل الغرس والزرع، ٢/ ١١٨٨، رقم (١٥٥٣).

(٣٩) صحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب فضل الغرس والزرع، ١١٨٨/٢، رقم الحديث (١٥٥٢).

(٤٠) صحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب فضل الغرس والزرع، ١١٨٨/٢، رقم الحديث (١٥٥٢).

(٤١) والعافية: هي كل طالب رزق من إنسان أو بهيمة أو طائر. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة (عفا).

(٤٢) مسند الإمام أحمد، أول مسند المدنيين رضي الله عنهم أجمعين، حديث السائب بن خلاد أبو سهلة رضي الله عنهم، ٢٧ / ٩٢، رقم (١٦٥٥٨)

(٤٣) الفسيلة: الصغيرة من النخل. ينظر اللسان، مادة (فسل).

(٤٤) مسند الإمام أحمد، مسند أنس بن مالك رضي الله عنه، ٢٠ / ٢٩٦، رقم (١٢٩٨١)، والأدب المفرد بالتعليقات، باب اصطناع المال، ١ /٢٤٢، رقم (٢٧٩)، وقال الألباني: صحيح. ينظر، سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٩.

(٤٥) يعضد: عضد – يقطع. ينظر، النهاية في غريب الحديث والأثر مادة(عضد)

(٤٦) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب ليبلغ العلم الشاهد الغائب، ٣٢/١، رقم (١٠٤).

(٤٧) لابتيها – لوب – مثنى لابَة: وهي الأرض ذات الحجارة السود، والمراد أطرافها. ينظر، النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة (لوب)، ومشارق الأنوار، ٣٦٥/١.

(٤٨) عضاها: عضه: هو كل شجر عظيم له شوك، ينظر النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة (عضه).

(٤٩) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب فضل المدينة ودعاء النبي ﷺ فيها بالبركة وبيان تحريمها ، ٩٩٢/٢، رقم الحديث (١٣٦٢).

(٥٠) الكَثَرُ –كثر – جُمّار النخل، وهو شحمه الذي وسط النخلة، ينظر النهاية في غريب الحديث والأثر، ماد (كثر).

(٥١) سنن أبي داود، كتاب الحدود، باب ما لا يقطع فيه، ٤٤١/٦ رقم (٤٣٨٨)، وسنن الترمذي، كتاب الحدود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء لا قطع في ثمر ولا كثر، ٥٢/٤ رقم (١٤٤٩)، قال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح، وقال الألباني: حديث صحيح.

(٥٢) صحيح البخاري، كتاب فضائل المدينة، باب حرم المدينة، ٢٠/٣ ، رقم الحديث (١٨٦٧).

(٥٣) مسند الإمام أحمد، مسند الأنصار رضي الله عنهم، حديث عبد الله بن سلام رضى الله عنه، ١٩٧/٣٩، رقم (٢٣٧٨٠).

(٥٤) ينظر: دراسة لإمكانية استخدام المسطحات الخضراء في التشكيل العمراني للمساجد، دراسة أثرية معاصرة: ١٨.

(٥٥) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب مقام النبي ﷺ، ١٥٣/٥، رقم الحديث (٤٣١٣).

(٥٦) مسند الإمام أحمد، مسند أبي هريرة رضي الله عنه، ١٣٥/٨، رقم (٨٠٢٥).

(٥٧) ينظر: فوائد الأشجار والنباتات في القرآن والسنة: ١٠، ودراسة لإمكانية استخدام المسطحات الخضراء في التشكيل العمراني للمساجد: ١٨ وما بعدها.

(٥٨) ينظر: معجزة النبات: ١٠٢.

(٥٩) ينظر: أسرار عالم النبات: ٨٦، ودراسة تحليلية لتأثير استخدام عناصر اللاندسكيب (النباتات) في المدن المصرية: ٨.

(٦٠) ينظر: أسرار عالم النبات: ٨٦، وفوائد الأشجار والنباتات في القرآن والسنة: ٨.

(٦١) ينظر: التشجير وسيلة لنظافة المدن، وندوة التشجير وتجميل المدن: ٥١، والمدينة الأفقية- اتجاه جديد في العالم: ١٩.

(٦٢) الديسبيل: هي وحدة تستخدم لقياس شدة الصوت، وتختصر بالحرفين (dB). ينظر: موقع الفيزياء التعليمي: http: //www.hazemsakeek.net/magazine/

(٦٣) ينظر: فوائد الأشجار والنباتات في القرآن والسنة: ٩.

(٦٤) ينظر: التشجير وسيلة لنظافة المدن، وندوة التشجير وتجميل المدن، وفوائد الاشجار والنباتات في القرآن والسنة: ٩.

(٦٥) ينظر: التفسير الميسر: ٢٧٦.

(٦٦) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٣٩٣/٢، ومفاتيح الغيب: ١٩٧/٢٦، والتسهيل لعلوم التنزيل: ٣٨٢/٣، وتفسير القرآن العظيم: ٢٠/٤، وفي ظلال القرآن: ٢٩٩٩/٥، وصفوة التفاسير: ٤٤/٣.

(٦٧) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في قطع السدر، ٧ / ٥٢٣، رقم (٥٢٣٩).

(٦٨) ينظر: الموقع الالكتروني الرسمي لفضيلة أ. د. علي محيي الدين القره داغي.

(٦٩) أسرار عالم النبات عالم النبات بين العلم والقرآن: ٧.

(٧٠) التفسير الميسر: ٥٣٤.

(٧١) ينظر: اللون وواجهات المباني دراسة تحليلية: ١١٣-١١٤.

(٧٢) ينظر: أثر الألوان على العقل والجسم:

(٧٣) ينظر: ندوة التشجير وتجميل المدن: ٥٠.

(٧٤) ينظر: ندوة المدينة والبيئة، دور البلديات في حماية البيئة بالمدن العربية، وفوائد الأشجار والنباتات في القرآن والسنة: ٦، وأسرار عالم النبات: ٨٥-٨٦.

(٧٥) فوائد الأشجار والنباتات في القرآن والسنة: ١٠.

(٧٦) التفسير الميسر: ٥٣٤.